جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مقياس : منهجية البحث الفلسفي **السنة الثانية**

السداسي الرابع **د /بوزبرة عبد السلام**

المحاضرة الثانية :02

المنهج التجريبي: فرانسيس بيكون، جون ستوارت ميل.

بني بيكون مجمل فلسفته و كان من أوائل الذين أكدوا على أن المعرفة تمكن الإنسان من التسلط على الطبيعة "المعرفة القوة" لقد كان يهدف من إصلاحه الفلسفي معرفة الأسباب والحركة الخفية للأشياء وتوسيع حدود المعرفة الإنسانية توسيعا من شأنه أن يتيح لنا التأثير في كل الأشياء الممكنة وكان يؤمن بالمثل الكيمائي الأعلى في تحويل العناصر من نوع إلى نوع آخر بشرط الفهم الكامل لما ثابت وأبدي وكلي في الطبيعة لقد كان أثر هذا المنهج كما يرى أصحاب الموسوعة على كل من جون لوك ودفيد هيوم وجون سيتوارت مل، بمعنى آخر إنه كان رائد الذهب التجريبي في أوروبا .

1- المنهج الاستقرائي عند فرانسيس بيكون.

يعتبر فرنسيس بيكون(1626- 1561) فيلسوف انجليزي ورجل قانون،اهتم بإيجاد منهج للبحث العلمي من مؤلفاته محاولات في الأخلاق والسياسة،الأورجانون الجديد . يعد أول من حاول صياغة منهج البحث للعلوم التجريبية، إذ يعتبر رائد الاتجاه التجريبي في الفلسفة الحديثة، لقد كان من اشد المتحمسين للمنهج الاستقرائي، بحيث قدم المنهج الاستقرائي في وقت كانت ميتافيزيقا أفلاطون وأرسطو ومنطق أرسطو ولاهوت توماس الإكويني مسيطرة على مصادر الفكر الرئيسية فقد انتقد بيكون المنطق الأرسطي، بحيث رأى أنه ينطوي على مزاعم كاذبة، فهولا يصلح منهجا لبناء المعرفة العلمية،فعمل من أجل البحث عن منهج جديد للعلوم، وذلك في كتابه الأورجانون الجديد "ودعا بيكون إلى تجاوز عمليات القياس العقيمة، والقيام بملاحظة الحوادث في مختلف أوضاعها وتجريبها، ولكنه رفض التجربة الخالصة المتزمتة التي ترى أن المعرفة تستمد من الواقع كما هي دون تحليل، لأن الواقع حسب رأيه يقدم لنا الوقائع بدون ترتيب، والوقائع غير مرتبة لا تصنع العلوم.

2- الأورجانون الجديد .

أصدر بيكون "كتابه هذا محاولة لإصلاح التفكير الإنساني من الميول الذاتية والانفعالات للحصول على معرفة يقينية وموضوعية بعيدة عن الغموض،مستخدما الاستقراء كمنهج يبعد كل الأفكار الشائعة والتصورات الميتافيزيقية التي غالبا ما يفرزها الجهل بمعرفة أسباب الحوادث والظواهر، أثر مكتشفات العصر وما صاحبها من ثورة لاسيما في مجال الصناعة على فكر بيكون. هذه المكتشفات والبحوث جميعها أدت إلى شعور الإنسان بازدياد سلطانه على الأرض ورغبته في التوسيع هذا السلطان،وعرف الناس أن العلم لا يقتصر على ما فوق الطبيعة "،ومن ناحية أخرى كان هجومه على فلاسفة اليونان وعلى أرسطو بالذات يدل على أن اتجاهه نحو المعرفة التي تثمر في أعمال ونحو العلم القابل للتطبيق في مجال الصناعة ورد عليهم في دعوتهم إلى العلم النظري الخالص واحتقارهم للتجربة والتطبيق العملي،كل هذه شكلت في فكر بيكون كما مثلت أهم الإشكاليات الرئيسية التي عالجها في كتابه الأورجانون الجديد. إن الأورجانون الجديد هو طريقة جديدة لتفسير الطبيعة حيث يعتبر هذا الكتاب عرضا كاملا للطريقة التجريبية وينقسم إلى قسمين القسم الأول ينقد بيكون الأحكام المسبقة والقسم الثاني يعرض فيه طريقة جديدة في البحث العلمي ويشدد على الاستقراء الذي ينطلق من التجارب ليصل إلى القوانين.

3- نقد المنطق الأرسطي والفلسفة التقليدية.

حرص بيكون على ربط الفلسفة بالتطورات الجديدة للمنهج العلمي وذلك في بداية الفلسفة الحديثة حيث انصب اهتمامه على الطبيعة العامة والتفكير العلمي وعلاقته بالإشكاليات الفلسفية المتعلقة بالإنسان وال كون،وكان له الفضل في التأثير الذي أحدثته النظرة العلمية وقد شن بيكون حربا قوية ضد كل المعارف التقليدية وحط من شأن الفلسفة القديمة وحملها أوزار الجمود العلمي والفكري الذي عرفته أوربا وأن الفلسفة التقليدية لم تحقق الرفاهية والسعادة للإنسان لان غاية العلم الحقيقية هي إيصال الإنسان إلى الراحة والسعادة بينما عرقلت الفلسفة الكلاسيكية فكره وحولته إلى كائن جامد وسلبي يتلقى التعليم من الخارج ويؤدي ما عليه من واجبات وكأنه صنم ميت،ويحدد المسئول عن هذا الجمود حسب بيكون هم الفلاسفة بدءا من سقراط إلى غاية العقلانيون . فهم لا يلاحظون الطبيعة ولم يفسروها جهلا منهم لأسرارها واهتموا فقط بهواجس العقل وأفكاره إلى أن وصل والى تقديسه وتأليهه. فنقد بيكون للمنطق الأرسطي تمثل في اعتباره أن القياس الأرسطي لايهتم بعالمنا الطبيعي إذ هو استدلال صوري لا يهمه سوى صحة الانتقال من مقدمات إلى نتائج تلزم ع نها سواء كانت تلك المقدمات صادقة من حيث الواقع أو كاذبة . يبدأ القياس الأرسطي من أفكار جزئية محسوسة ويجعلها أفكار عامة ويفترض أنها مقدمات صادقة وحقائق لازمة ول كن ما تلك المقدمات إلا متضمنة على أفكار ضائعة قد تكون غالبا كاذبة وأيضا مقدمات القياس الأرسطي صادقة على الواقع. وإذا افترضنا إن

انتقالنا إلى النتيجة سليم كانت النتيجة عقيمة إذن فقضايا في المنطق الأرسطي لا تأتي بالجديد فهي تحصيل لحاصل. لذلك نحتاج إلى منهج نرتب به الوقائع لنصل إلى نتائج علمية، وعملية الترتيب هذه تحتاج إلى العقل غير أن قول بيكون بالعقل لا يعني أنه يعترف بالاستنباط والقياس العقلي في بناء المعرفة العلمية، ل كنه يرى أن الإنسان يقوم بعملية ترتيب الظواهر واستعمال المنهج، بواسطة عقله، فهو يرفض النزعة التجريدية،وبرفض الفرض إذ لا يميز بينه وبين الخرافات والأوهام إذ يعتبرها عائق بالنسبة للعلم. ومن بين أهم الأخطاء التي يقع فيها العقل البشري والتي سماها بالأوهام الأربعة وهي المغالطات والأخطاء التي يجب على العقل تحطيمها وتجاوزها:

أ - أوهام القبيلة: هي تنشأ عن المجتمع عن طريق الخرافات والتنجيم والأساطير والميل إلى تصديقها .

ب - أوهام الكهف: هي الأفكار المسبقة لدى الفرد والتي تحد من تطور فكره.

ج- أوهام السوق: تتمثل في سوء الفهم للغة النابع عن التباس وغموض معناها وذلك لاستخدام هذه الدلالات وفق عقلية أهل السوق.

د- أوهام المسرح: ويقصد بها خطأ النظريات الفاسدة التي سيطرت على العقل ويقصد بذلك النظريات الطبيعية و الميتافيزيقية الإغريقية خاصة الأفلاطونية والأرسطية التي كانت بمثابة عقائد يقينية غير قابلة لتجاوز . وبعد تخليص العقل من هذه الأخطاء والأوهام يمكن تأسيس للمنهج العلمي الذي بإمكانه تحصيل الموضوعية.

4- المنهج الاستقرائي:

دعا بيكون المنهج الاستقرائي كمنطق يعتمد أساسا على التجربة في مقابل القياس فهو طريق الشك والتجربة والتصنيف ، فهو يرى أن التجربة منهج واضح يمكن للجميع استعماله ويتمثل ذلك في ترتيب قائمة حضور العلل بالنسبة لكل ظاهرة أي بناء على القواعد الآتية (طريقة التلازم في الحضور) قائمة غيابها (التلازم في الغياب) وقائمة التفاوت بين(" أ" و" ب") وضمن قائمة الاختلاف يقوم بمقارنة من خلال تسجيل ما يتغير واستبعاد الظواهر غير متغيرة حيث تكون مطلوبة كاستنتاج ،إضافة إلى طريقة التغير النسبي، فالمعرفة العلمية الصحيحة هي وسيلة لتحسين حياة الإنسان في هذا العالم. لم يكن بيكون هو أول من نادى بالمنهج الاستقرائي بل سبقه إليه العديد من العلماء (جاليلو 1564-1642) .غير أن بيكون كان يريد للنظريات العلمية ونتائجها أثر في حياة الفرد حيث يستثمر العلم لمنفعة الإنسان فلقد كان يعتقد أن العلم قادر على تحسين حياة الأفراد لذلك رفض الفلسفة التأملية التي لا صلة لها بالواقع، وقد اتجه بيكون نحو فلسفة عملية بعد أن نقد المنطق القديم، بالإشارة إلى الأوهام الأربعة التي تعوق البحث العلمي.

5- تطورالاستقراء عند جون ستيوارت مل (1807-1873)

فيلسوف إنجليزي، بعد قطب المذهب التجريبي الحسي، كان نصيرا لحقوق المرأة والطبقة العاملة، رأى في كل أبحاثه(المنطق-العدالة-الحرية) أن الأساس يجب أن يكون دائما تجريبيا وأن النهاية نفعية، ذلك لتأثره بجيرمي بنتام وفي كتابه "مذهب في منطق القياس والاستقراء" ينتقد المنطق الصوري الذي يراه منطق لغويا بحتا، وان استدلالاته استدلالات ظاهرية، وليست حقيقية لأنها تحصيل حاصل .لقد رفض المناهج الصورية و الفلسفات الميتافيزيقية التي شاعت في الفلسفة الإغريقية القديمة وفلسفة العصر الوسيط، كما أنكر نوع المعرفة الفطرية أو القبلية التي لا تقدم على أساس الخبرة الحسية.

الاطراد والعلية.

إن الطبيعة عند مل حسية تسير سيرا مطردا، وأن ما يحدث مرة نتيجة لظروف، سيحدث دوما إذا توفرت نفس الظروف، هذه الظروف هي التي تجعل الظاهرة تحدث هي ما يعرف بالسبب الكافي الذي يكفي أن يحدث لكي تحدث الظاهرة حتما، إن السبب ظاهرة طبيعية موجودة في الطبيعة والوصول إليه غاية جميع العلوم، لا يكون سوى بالرجوع إلى الطبيعة والواقع ويكون ذلك باحترام قواعد الاستقراء التي وضعها بيكون والتي أضاف إليها مل قاعدة الرابعة وهي طريقة البواقي .لقد اعتقد مل أنه الممكن وضع أي استقراء في صيغة قياسية بشرط أن يكون مبدأ اطراد الحوادث مقدمة كبرى لهذا القياس، وعلى الرغم من اعتقاد "مل" أننا نصل إلى فكرة اطراد الطبيعة بطريق الاستقراء، إلا أنه يرى في هذا الاطراد مبدأ كان لابد من اتخاذه، مقدمة نهائية ترتد إليها كل العمليات الاستقرائية.

فمن خلال نقد جون ستوارت مل للقياس الأرسطي، إذ يعتبر أن القياس ليس نوعا مستقلا من الاستدلال وإنما هو تابع للاستدلال الاستقرائي بحيث يرى أنه لا يجب أن تكون إحدى مقدمتي القياس على الأقل كلية، ول كن تلك المقدمات الكلية نصل إليها أولا بالاستقراء،فالاستقراء إذن سابق والقياس تابع. وعلى هذا فالمنطق أو الاستدلال والاستدلال الاستقرائي والبرهان كلمات مترادفة عند جون ستوارت مل حيث يحدد "مل" الخطوات الاستقرائية التي يتبعها للانتقال من المعلوم إلى المجهول في ثلاث مرحل الملاحظة والتجربة والفرضية. وتحقق من الفرضية تجريبيا، فإن أيدته اتخذ صورة القانون العام،ذلك العالم الطبيعي يسير وفقا لقوانين عامة أسسهما هما الاطراد والعلية. ففي الجزء الثالث من "المنطق" طبيعة الاستقراء يفحص مل الاستقراء الذي يقوم على افتراض القائل "أن الطبيعة تسير سيرا مطردا، وأن ما يحدث مرة في ظروف بعينهما 1سيحدث دائما مرة أخرى إذا وقعت تلك الظروف."

يميز مل بين اطرادات "التلازم" "الاقتران" "اطرادات التتالي"، فالأولى تتضمن معينة صفات الأنواع الطبيعة والخصائص المكانية والعددية، وهذه الصفات لا تعرف إلا عن طريق الملاحظة فحسب، والدليل عليها في كثير من الحالات فائض عن الحد يمكن أن توصف اطرادات التتالي وصفا متساهلا بأنها "السببية"، بمعنى نوعا بعينه من الحوادث يفضى دائما إلى تتابع بعينه وعندئذ يجيئنا العالم عن طريق التعدد البسيط قبل كل شيء، غير أن مل يعتقد أنه في الاستقراءات "السببية" يمكن أن يقوم على البرهان الاستنباطي بالاعتماد على مناهجه في الاستقراء السببي. **فالسبب الكافي:** هو ذلك العالم الذي إذا أضيف إلى المجرى المألوف لأحداث الكون كانت إضافته كافية لأحداث أثر بعينه.

لقد دافع مل عن مبدأ العلية باعتباره مبدءا ضروريا، فكل الظواهر الطبيعية تخضع له، وإلا يصبح المنهج الاستقرائي بغير أساس، وأساسه أن الطبيعة لابد أن تسير في اطراد علىّ وأن القانون العلمي إنما هو تفسير لطبيعة الظواهر. فلقد تعرض هذا المبدأ إلا انتقاد شديد خاصة من قبل دفيد هيوم، فهيوم لا يرفض مبدأ العلية، ولم يشك أن لكل حادثة علة، ولكن رفض أن يكون هذا المبدأ فطري أو تصور قبلي في العقل الإنساني، فهذا المبدأ يستمد قوته من الخبرة الإنسانية لأنه مبدأ تجريبي فهو لا يتماثل مع المبادئ الرياضية والمنطقية التي هي لا تتضمن ضرورة منطقية التي يتصورها نقيضها، فليس لتصور العلية الكلية واليقين، لأن الخبرة الإنسانية والتجربة هي مصدر هذا التصور. وقد كان جون لوك من أبرز الذين اعتنق عنهم هيوم فكرة أن معارفنا نردها إلى التجربة. يقوم منهج جون ستيوارت مل الاستقرائي على أربع قواعد أسياسية : الاتفاق - الاختلاف - التغير النسبي - طريقة البواقي.

المصادر والمراجع

- حبيب الشاروني– فلسفة بيكون - دار التنوير ،بيروت ط1 ،2005.
- روني أيلي – موسوعة أعلام الفلسفة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.
- محمد فهمي زيدان– الاستقراء والمنهج العلمي - دار الوفاء القاهرة، ط1،2002 .
- محمد محمد قاسم: كارل بوبر- نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط 1986 .
- زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة،دار القلم بيروت،" د.ط" "د س"
- علي حسين الجابري .فلسفة العلوم .دروس في الأسس النظرية وآفاق التطبيق .دار افرقد للطباعة والنشر و التوزيع .دمشق، ط1، 2010.